مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار بمركز الخليج للأبحاث
Gulf Research Center Dialogue Lab

أوراق ثقافية

الخليج العربي من القوة الناعمة إلى القوة الذكية
إعادة تعريف القوة الناعمة خليجيا

د. زيد بن علي الفضيل
مدير البرنامج الثقافي والإعلامي

سبتمبر – 2026

1

مقدمة:

على الرغم من أن مفهوم القوة الناعمة قد ارتبط بالمفكر الأمريكي جوزيف ناي، الذي توفي مؤخرا بخيبة أمل كبيرة جراء سياسة الرئيس دونالد ترامب المنقلب على أفكاره ونظرياته، تلك التي هيمنت على فلسفة عمل الدبلوماسية الأميركية وقتا طويلا؛ إلا أن ذات المفهوم من حيث مضمونه ودلالته لم يكن أمرا جديدا في عالم السياسة، وكان أن مارسه العرب المسلمون بنجاح في القرون السالفة، بل وأصبح عنوانا بارزا لكثير من نشاطاتهم البينية مع مختلف الشعوب، ودون أن يتم تسليط الضوء عليه وإبرازه كمصطلح سياسي، ولعل التمدد العربي المسلم في شرق أسيا، وفي أواسط أفريقيا، خير مثال على ذلك. حيث انتشرت الثقافة العربية المسلمة في أرجاء تلك البقاع دون أي فرض أو إجبار، بل وأصبح أبناء المنطقتين من أكثر المجتمعات إيمانا بمنظومة القيم الإسلامية التي حملها العرب في رحلاتهم التجارية والدعوية.

هذا السياق يدعونا ابتداء إلى تلمس مظاهر سياقاتنا الحضارية واستبطانها بعمق، للتأسيس عليها باعتبارنا مؤسسين لمفهوم فلسفي سياسي وليس باعتبارنا مقلدين عابرين، وفي تصوري فالفرق بين المفهومين كبير على صعيد بناء الفعل ومتابعة نتائجه لاحقا.

أشير إلى أن مفهوم القوة الناعمة قد تبلور في الوقت الراهن عبر عدد من العناوين الرئيسة والتي تتركز في:

- أن تمتلك الدولة ثقافة متميزة تجذب الأخرين لتبنيها، وهذا يعني قدرتها على تشكيل تصورات ومفاهيم الآخرين وتلوين ثقافتهم وتوجيه سلوكياتهم.
- تنطلق من قيم سياسيّة فاعلة وفق أطر مدنية تحقق ما تصبو إليه المجتمعات من عدالة ومساواة وحرية وكرامة إنسانية في ظل مبادئ حقوق الإنسان، وهو ما يعزز من مصداقية وشرعية الدولة بنظر الآخرين.
- علاوة على حضورها الدولي الإيجابي عبر تقديم المساعدات والمساهمة في حل النزاعات وإحلال السلام.

وهو ما تمكنت الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية من إظهاره في العقود السالفة بنجاح، عبر كثير من الروافع الإعلامية والسينمائية والقوانين المجتمعية، الأمر الذي ساهم في ضعضعة

الاتحاد السوفيتي خلال الحرب الباردة، وأدى إلى سقوط جدار برلين الذي نتج عنه تلاشي دول أوروبا الشرقية تباعا، وانتهاء ما عرف بالمعسكر الشرقي كليا.

وحتما فيندرج كل ذلك في إعادة تعريف مفهوم القوة الناعمة وفق ما كتبه جوزيف ناي لاحقا عبر مصطلح جديد وهو "القوة الذكية" والتي تجمع بين صرامة القوة العسكرية وجاذبية التأثير الناعم، وكان أن نجح هذا المفهوم في إنهاء الاتحاد السوفيتي ومعسكره الشرقي، الأمر الذي تنبهت له الصين مباشرة، فعملت على تدارك نفسها عبر كثير من الإجراءات الاقتصادية المستندة إلى تحرير السوق وفق منهج اقتصادي حديث، كما حرصت على تأسيس نظام إعلامي اجتماعي خاص بها، مما حجب وسائط التواصل المجتمعي الغربية عن الوصول إلى أفراد مجتمعها والتأثير عليهم بشكل مباشر وغير مباشر.

٢

تطور مفهوم القوة الناعمة الخليجية:

في هذا السياق فقد نجحت دول مجلس التعاون الخليجي خلال العقدين الأخيرين في إعادة صياغة مفهوم القوة الناعمة المرتكز على الثقافة والفنون، ليشمل الاقتصاد، والتنمية، والابتكار، والقدرة على إدارة الأزمات وبناء الشراكات الدولية وفق رؤية دبلوماسية. فكان أن دمجت القوة الناعمة بالقوة الاقتصادية من خلال الاستثمار الخارجي، والمساعدات التنموية، والصناديق السيادية، وانتقلت من الاستهلاك الثقافي إلى صناعة الصورة الذهنية عبر الإعلام العالمي، والنشاط الرياضي، والفعاليات الدولية الكبرى.

وساهمت رؤاها الوطنية في تفعيل ذلك، وبخاصة وأنها قد اهتمت ببناء بيئات اقتصادية واجتماعية جاذبة للاستثمار والأعمال، وهو ما يستوجب الاهتمام بالمنجز الثقافي وتطوير الهوية المجتمعية لتكون أكثر انفتاحا وقبولا للآخر، مع الحفاظ على الهوية الوطنية، والعمل على إبراز القيمة التاريخية للمكان، وتعزيز التفاعل الإيجابي مع الآخر عبر مختلف الصيغ الثقافية والرياضية والفعاليات العالمية.

وقد تمثل ذلك واقعا في كثير من الأنشطة والفعاليات الثقافية والرياضية كما هو الحال مع معرض "اكسبو"، وافتتاح العديد من المتاحف العالمية، وتنظيم العديد من المهرجانات الموسيقية ومعارض الفنون البصرية، وغيرها، علاوة على تنظيم البطولات الرياضية التي يأتي على رأسها بطولة كأس العالم في قطر، تلك التي وقفت أخلاقيا أمام الترويج للشذوذ فَعَدَلت كفة الميزان في الجانب الخلقي والمعايير القيمية لتحد بشكل صارم من الدعاية لها، وتمنع تداول شعارات أولئك الشاذين على أرضها، متحملة كل الأعباء والصيحات الباطلة؛ كما ساهمت في تغيير مفاهيم عديدة في الذهن العالمي إزاء طبيعة المواطن الخليجي.

على أن الأكثر أهمية أنها قد حررت الزي الخليجي من سلبية الصورة النمطية عنه، التي تم ترسيخها عبر السينما الأمريكية في صورة الخيمة وبرميل البترول والناقة الأصيلة، ثم استبدلت الناقة مؤخرا بعدد من المركبات الفاخرة؛ وعلى الرغم من تطور مواطني دول مجلس التعاون الخليجي وانتقال كثير من أبنائهم من حالة البداوة حياة إلى التحضر معيشة، بل وتقدمهم حضاريا، وزيادة تنامي وعيهم العلمي جراء تأسيس العديد من الجامعات العالمية في مدنهم، إلا أن النظرة السلبية لم تتغير في مختلف وسائل الإعلام الغربية، وعبثا كانت المحاولات لتغيير الصورة النمطية في أجواء تلك المجتمعات، حتى جاءت البطولة العالمية فجرى تغيير صورتها بعيدا عن مقص الرقيب، ومونتاج السينما الغربية، وتجييش العدو والمخالف.

وهكذا أخذت القوة الناعمة الخليجية في المزج بين القوة التقليدية مع القوة الناعمة المركّبة والتي ترتكز على تداخل ثلاث سمات رئيسة وهي: البعد الثقافي المؤدي إلى تطوير مفهوم الهوية وتعزيز فكرة القبول بالأخر، مما يسمح ببناء روافع استثمارية واسعة، ويؤدي إلى تطوير القدرات الوظيفية، وكل ذلك يصب في ترسيخ موقع دول مجلس التعاون الخليجي باعتبارها مركزا لتخفيف حدة الاستقطاب بين الشرق والغرب، وهو ما بات جليا على الصعيد الإقليمي والدولي.

٣

تكامل الأدوار الخليجية من القوة الناعمة إلى القوة الذكية

في هذا السياق فقد شكلت دول مجلس التعاون الخليجي وحدة موضوعية واحدة في إطار تعزيز قوتها الناعمة على الصعيد الإقليمي والدولي، حيث تناوبت في حمل الراية بين بعضها البعض، فكانت الكويت أول من شكل سمات القوة الناعمة بتطورها الثقافي والفني والرياضي وحتما الاقتصادي، بحيث شكلت وعي الجمهور العربي والإقليمي إزاء المجتمع الخليجي، عبر صُحفه ومجلاته المعرفية النوعية والتي يأتي على رأسها مجلة "العربي" وغيرها، وعبر أدائها الفني ومسرحياتها وأعمالها التلفزيونية المختلفة، إلى غير ذلك من الأعمال التي جعلت الشخصية الكويتية ممثلا للشخصية الخليجية لعدة عقود مضت، وشاركهم في ذلك بالتوازي مملكة البحرين العريقة بثقافتها وتنوعها الديموغرافي جراء مركزيتها اقتصاديا، وكذلك المملكة العربية السعودية والتي ساهمت في إثراء المشهد الثقافي عبر روادها وصحفها ومنصاتها المعرفية المتنوعة منذ منتصف الخمسينات وحتى اليوم، وصولا إلى دولة قطر والإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان والتي جميعها بدأت في إثراء المشهد منذ مطلع الألفية الجديدة، وبذلك حققت منظومة مجلس التعاون الخليجي نجاحا واسعا في الاستفادة من قوتها الناعمة، وأعادت تعريف مضمونها بالصورة التي جعلتها قوة ذكية في الوقت الراهن.

لقد شكل الاقتصاد عصب التأثير الخليجي على الصعيد الدولي، ولعبت الصناديق السيادية دورا في تعزيز مفهوم القوة الناعمة الخليجية، حيث تُعد الصناديق السيادية، والمساعدات التنموية، والاستثمارات الخارجية أدوات مركزية في بناء النفوذ الناعم الخليجي، بما تخلقه من شبكات اعتماد متبادل طويلة الأمد، وتمنح دول الخليج حضوراً مؤثراً في الاقتصادات العالمية.

وإذا كان الغرب الأوروبي قد اعتمد القوة العسكرية في دعم مفاهيم القوة الناعمة، بما عبر عنه جوزيف ناي بـ"القوة الذكية"، وأدى ذلك إلى انتصارهم في فترة الحرب الباردة، فإن دول مجلس التعاون الخليجي بالتوازي مع الصين تحديدا قد أسسا لمفهوم جديد للقوة الذكية بالاستناد إلى قيمة ومعيارية البناء الاقتصادي وليس العسكري كرافعة رئيسة في إطار مفهوم القوة الناعمة الحديث، وهو ما يمكن النظر إليه حاضرا في كثير من السمات التي جعلت دول مجلس التعاون الخليجي (منفردة ومجتمعة) ركنا رئيسا في كثير من قضايا العالم المعاصر، وبات لهم دورهم المركزي على الصعيد الإقليمي والدولي، وبخاصة بعد تزايد الاهتمام بمؤسسات المجتمع المدني والمنظّمات غير الحكومية سواء كانت جمعيات خيرية، ونقابات مهنية، ومبادرات تطوعية، ومنظمات بيئية، وكذلك نسوية، علاوة على المبادرات الطلابية والشبابية، والنوادي الثقافية، والحركات الاجتماعية، وصولا إلى الأحزاب الوطنية، وغيرها؛ وجميعها تعزز من قواعد

السلم المجتمعي التي تزيد من تنامي الشراكات الاقتصادية والإقليمية والدولية، وزيادة الاستثمار في رأس المال البشري.

وهكذا تُظهر النتائج بأن القوة الناعمة الخليجية تمثل نموذجاً مركزيا لصورة جديدة من صور الانتقال من القوة التقليدية إلى القوة الذكية، لكنها في الوقت ذاته تظل رهينة بمدى قدرتها على التحول من سياق المبادرات الفردية إلى سياق استراتيجي شامل قائم على معايير صارمة في إطار حوكمة المجتمع المدني.

٤

تراكم القوة السعودية الناعمة الذكية

أشير إلى أن المملكة العربية السعودية قد شكلت أحد أهم ركائز القوة الناعمة الذكية على الصعيد الخليجي والعربي والإسلامي، وهو ما أعطاها بعدا دوليا واسعا، وجعلها مركزا للاستقطاب العالمي في مختلف الفترات، ابتداء بحرص الرئيس الأمريكي روزفلت على لقاء الملك عبد العزيز عام ١٩٤٥م وبدء شراكة استراتيجية مع المملكة العربية السعودية التي تعززت خلال العقود السالفة وصولا إلى اليوم، وكذلك الحال مع مختلف دول العالم غربا وشرقا، شمالا وجنوبا.

ولا شك فتمثل المدينتين المقدستين (مكة المكرمة والمدينة المنورة) قوة رئيسة للمملكة العربية السعودية في عمق الوجدان الإسلامي على صعيد المعمورة، وهو ما يدركه الغرب والشرق، وأكسب السعودية مكانة كبيرة في السياق الدولي؛ الأمر الذي تدرك قيمته السعودية وكان مثار اهتمامها في معرض "المملكة بين الأمس واليوم" والذي تم عرضه في عدد من العواصم العالمية برعاية وتنظيم خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز حال توليه لأمارة الرياض في العقود السالفة.

كما يمثل موقع المملكة العربية السعودية الاستراتيجي أداة في تعزيز مكامن القوة الناعمة الذكية، باعتبارها واسطة العقد لكثير من الممرات التجارية البرية والبحرية والرابطة بين دول العالم، ومن ذلك الممر الهندي الأوربي الذي أعلن عنه مؤخرا، وغيرها.

على أن ذلك قد تعزز اليوم بكثير من الإجراءات التحديثية التي دعمت ركائز القوة الذكية بشكل مباشر، ومن ذلك تعزيز حالة الانفتاح الفقهي والتحرر من قيد الرأي الواحد، وهو ما أخرج السعودية من قيد التشدد إلى فضاء التسامح، وساهم في تعزيز ملامح الحياة الاجتماعية

بصورتها الطبيعية الإنسانية، وتمكين المرأة وتوسيع المشاركة المجتمعية، مما انعكس إيجابا على سمات المجتمع، وغيَّر من طبيعة الصورة النمطية السلبي عن الشخصية السعودية، ما ساهم في فتح باب الاستثمار الخارجي واستقطاب رؤوس الأموال.

في هذا السياق فقد ظهرت بعض الآراء المحذرة من خطر التحول المذهبي صوب الانفتاح، الذي قد يقلل من قدرة المملكة على توجيه الخطاب الإسلامي عالميا، مما يفسح المجال أمام قوى أخرى مثل إيران والجماعات الإسلامية لملء الفراغ؛ وواقع الحال فالعالم اليوم بحاجة إلى أن يتنافس المسلمون في تقديم خطاب الاعتدال والتسامح والانفتاح على الآخر، وهي سمات أصيلة في الذهن الديني الإسلامي، والمملكة أقدر على تبني حيثياتها ومفاهيمها، وهو ما بات واضحا في سمات الخطاب الديني السعودي، والذي يعكسه على الصعيد العالمي مركز الملك عبد الله العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات بالبرتغال، ورابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

أشير إلى أن السعودية لم تكتف بذلك، بل أخذت في إبراز مصادر قوتها المعرفية، وعمقها التراثي، وثراء تنوعها الفني، عبر تأسيس العديد من الهيئات المختصة في وزارة الثقافة، ومن ذلك هيئة التراث، وهيئة المتاحف، وهيئة الموسيقى، وهيئة الأفلام، وهيئة الأزياء، وهيئة الطهي، علاوة على هيئة المسرح والفنون الأدائية، وهيئة الأدب والنشر والترجمة، وغيرها، واهتمت على الصعيد المؤسسي بتطوير المواقع التاريخية الأصيلة، كما هو الحال مع منطقة العلا حيث مدائن صالح التاريخية، إلى غيرها من المواقع التاريخية والأثرية، إضافة إلى الاهتمام بمواقع التراث النبوي في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وما بينهما حيث طريق الهجرة النبوية عبر مسار "على خطاه" الذي تبنته الهيئة العامة للترفيه بالتعاون مع الجهات المختصة مؤخرا. وكان في السياق ذاته أن اهتمت وزارة الثقافة بالترويج للفنون السعودية تنظيما وعرضا ونشرا، ودعمت مسار إنتاج الأفلام السينمائية، ودمجها في مهرجان البحر الأحمر السينمائي بمدينة جدة.

أشير أيضا إلى أن المملكة العربية السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي قد ساهموا في تطوير مفهوم القوة الناعمة، حيث لم يرتكز على سماته التقليدية القائمة على الثقافة والقيم، بل تماهى ليدمج الاقتصاد، والإعلام، والتعليم، بالدبلوماسية، ويصل اليوم إلى مرحلة متقدمة بالاستفادة من التحول الرقمي والذكاء الاصطناعي في عملية التأثير والتأثر، وكل ذلك قد أسهم في إعادة تعريف مفهوم القوة الناعمة، بما يتوافق ومفهوم القوة الذكية والذي باتت دول مجلس التعاون الخليجي فيه أساسا في صيرورتها المعاصرة، وحركتها الدؤوبة، ومشاركة في صناعة روايتها المَحكيَّة.

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.ar.grc.net

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation Geneva

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

Avenue de
Cortenbergh 89
4th floor, 1000
Brussels
Belgium